الفصل الخامس

الرجولة

- الرجولة .
- الرجولة فى الاسلام .
- الرجولة فى ميزان الاسلام .
- الرجولة فى الدين .
- كلمتان .
- مفاهيم قرآنية للرجولة والرجال .

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الأول

الرجـــولة

الرجولة مجموعة من الصـــفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها وتوجهها عقيدة تقدس الحـــق . وتفنى فى ســـبيله . وتعرف الواجب وتنهض لأدائه مهما كلفها من نصب ، وتهيم بسعالى الأمور ، وتترفع عن سفاسفها • وليست الرجولة ارادة قوية تظلم وتبطش . ولا رحمة رخوة تسالىء فى الحق وتجامل على حســـابه ، ولا عقلا محتالا يبرر الدنيـــة ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار •

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصـــورها الحية فى الرجل الأول والنبى والرســـول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحقة وهو القائل : «والله لو وضعوا الشـــمس فى يمينى والقمر فى يســـارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » •

وما أشد حاجتنا فى هذه الظروف التى تتعرض فيها الأمة الاسلامية للمؤامرات الى التذكير بسوقف من المواقف الحاسمة للرســـول صلى الله عليه وسلم اعتصم فيه بالحق فلم ينكص عنه لقلة جنـــده ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه •

روى ابن اســـحاق عن عبـــد الله بن عمرو بن العاص : أنه حضر قريشـــا يوما وقـــد اجتمع أشرافهم فى الحجر ، فذكروا رســـول الله فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط • ســـفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ••

لقد صبروا على أمر عظيم فبينما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله . فأقبل يمشى حتى استلم الركن . ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . فعرف ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثانية فغمزوه بمثلها . فوقف . ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش . اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » فاخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم وصاه فيه قبل ذلك ليردوه . ويلاطفه بأحسن ما يجد من القول حتى أنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولا .

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد .. استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ، ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم . فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة . ولو أن رجولتهم خانتهم . فتخلوا عن واجبهم . واستسلموا لشهوات السلطان وآثروا العافية على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية — لتغير وجه التاريخ وكانوا أمثلة للأجيال من بعدهم .

ونذكر فى هذا الصدد موقف ابى بكر خليفة رسول الله فى حروب الردة فقد أثارته ردة المرتدين . وأغضبته أشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع . ورفض أن يلين ويقبل منهم جزءا من الاسلام ويتسامح فى جزء آخر منه . وصمم على الحرب ولم يقبل الا الاسلام كله . كلا من غير أن ينقص منه شىء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

والرجولة ليست صفة كمال فى الفرد — وجودها وفقدانها فيه لا يقدح فى شخصيته — لا أنها صفة أساسية فيه فالناس اذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه رجال غثاء كغثاء السيل .. ذباب يتهاوى .. طبل أجوف .. جعجعة ولا طحن .. قديما قال العرب : « ترى الفتيان كالنخل . وما يدريك ما الدخل » .

والأمة الاسلامية لا تحتاج الى علم ؛ ولا تفتقر الى ثروة بقدر ما تحتاج الى رجولة ؛ وهى لم تؤت من قلة عددها . ولا من ضيق رقعتها . ولا من جدب أراضيها ، وانما أصابها الضعف والوهن ودب فيها داء الأمم من تهالكها على الشهوات . وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بين القادة والجماهير على حد سواء .

وأخلاق الرجولة من اساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظافرة فهى تفرض على القائد والزعيم أن يفكر فى امته قبل أن يفكر فى نفسه . وان يرى المنصب وسيله للخدمة العامه لا للجاه والثراء وأن يتخلى عن مركزه عندما يشعر بان غيره اقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمسئولية . وكل فرد فى الامة محتاج الى هذه الأخلاق مهما كان مستواه الاجتماعى ووضعه الوظيفى والمهنى فى المجتمع ، ففى الرجولة متسع للجميع وهى ميدان فسيح تتنافس فيه الأمة علماء وساسة ، أدباء وفنانين . مدرسين وطلبة . تجارا وصناعا . وأقواهم رجولة أقدرهم على خدمة أمته وأنفعهم للناس .

● **نظرة لغوية :**

واذا كانت الألفاظ وعاء للمعانى ـ كما يقول العلماء ـ فإن مادة هذه الكلمة (ر . ج . ل) تدل بأصل وضعها فى اللغة على طائفة كبيرة من المعانى غير الذكورة المقابلة للأنوثة فى بنى الانسان .

تقول العرب فى المفاضلة بين الاثنين وتفوق أحدهما على صاحبه (أرجل الرجلين) وللدلالة على القدرة على التصدى للأحداث والتفرد بحل المشكلات تقول : « رجل الساعة » وفى ختام المباهاة بالشرف والثناء تقول : (هو من رجالات قومه) وعندما وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها ببعد النظر وسداد الفكر وأصالة الرأى قيل : « كانت عائشة رجلة الرأى » . وعند الاشارة بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بها وقدرتها على تحمل الصعاب ومواجهة الأخطار يقول الشاعر العربى :

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على احد

واذا رجعنا الى المواضع التي وردت فيها هذه المادة في القرآن الكريم وجدنا أنها فضلا عن دلالتها على النوع أفادت في كثير من هذه المواضع معاني أخرى تتجه بالنوع الى السمو والامتياز .

استعمل القرآن الكريم (رجالا) وصفا للمصطفين الأخيار الذي اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الامم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية وتكرر هذا الاستعمال في عدة آيات من كتاب الله . قال سبحانه : « **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم** »(١) .

وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفا للأطهار والابطال قال تعالى: « **فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين** »(٢) .

وقال جل شأنه : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار** »(٣).

وقال عز من قائل : « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا** »(٤) .

والوصف بالرجولة في القرآن الكريم في هذه المواطن وفي المواقف التي يتوارى فيها الجبناء ليس عفوا . بل هو تعبير مقصود يوحي بمقومات هذه الصفة من جرأة في الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى : « **وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى ، قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج اني لك من الناصحين** »(٥) .

وقال عز شأنه : « **وجاء من اقصا المدينه رجل يسعى ، قال يا قوم اتبعوا المرسلين** »(٦) .

وقال سبحانه : « **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** »(٧) .

واذا انتقلنا من القرآن الى السنة النبوية رأينا رسول الله صلى

---

(١) يوسف : ١٠٩
(٢) التوبة : ١٠٨
(٣) النور : ٣٧
(٤) الاحزاب : ٢٣
(٥) القصص : ٢٠
(٦) يس : ٢٠
(٧) غافر : ٢٨

الله عليه وسلم يتطلع الى الرجولة التى تناصره وتعتز بها دعوته ، ويسألها ربه فيقول : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك • عمر بن الخطاب او عمر بن هشام . فيستجيب الله دعاءه فى الرجل عمر ، فما هى معالم الرجولة التى استشفها رسول الله فى عمر ؟ وما أثرها فى نشر الدعوة واعزاز الاسلام • كان اسلام عمر حدثا كبيرا فى تاريخ هذا الدين ولو ان آلافا من عامة الناس أسلموا ما عدلوا عمر ولا قاربوه . بدت رجولته فى اللحظة الأولى من اسلامه فبعد أن كان المسلمون لا يجرءون على الجهر بدينهم جهروا به ، وكانت الدعوة من وراء حجاب فأرادها عمر علانية •• حمل نفسه على كفه دفاعا عن عقيدته • وصمم على أن يموت وتعلو كلمة الاسلام • فكانت الثانية •• قال ابن عباس . « لما أسلم عمر قال : المشركون قد انتصف القوم اليوم منا » • وقال ابن مسعود : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » ، ولم تكن رجولة عمر فى قوة بدنه ولا فى فروسيته . فقد كان فى قريش من هو أقوى منه بدنا وأشد قتالا ، ولكن رجولته كانت فى نفسه الكبيرة التى تشبع الرهبة وتبعث على التقدير والاكبار •• هاجر الصحابة خفية أما عمر فقد تقلد سيفه ومضى الى الكعبة فطاف ، وصلى فى المقام ، وأعلن هجرته على ملأ من قومه . وقال لهم : « من أراد أن تثكله أمه ويتيتم ولده ويرمل زوجته فليتبعنى وراء هذا الوادى » • فما تبعه أحد منهم • وتمضى الأيام وتتوالى الأحداث فتتكشف خصائص الرجولة فيه ويتجلى عدله وقدرته على تحمل المسئولية كاملة ، ويتألق ذهنه وصفاء عقله وسداد رأيه . فينزل القرآن الكريم موافقا له فى أكثر من عشرين موقفا ، وقد روى فى هذا الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون — فان يك فى أمتى أحد فانه عمر » •

وقديما نظر الشاعر العربى الى الناس نظرة فاحصة ، يبحث عن مقاييس الرجولة ، فلم يجدها فى الشكل والمظهر ، ووجدها فى الحقيقة والمخبر فقال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك العرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الغرير

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم الرجولة ، ومقوماتها ومظاهرها وأثرها فى حياة الأمة ، وبعد اللفتة العابرة الى هذه المادة فى اللغة ، بقيت الاشارة الى ان الرجولة ليست وحيا يوحى ، ولا معجزة يعجز البشر عن تحصيلها ، بل هى دانية للعقيدة المكينة ، والتربية الصحيحة والقدوة الحسنة ، وهى مهمة يتعاون على تحقيقها البيت ومعاهد التعليم[1] .

واعتقد ان لفظ رجل فى القرآن الكريم لم يأت هكذا ، ولكنه أتى وصحبه موقف والرجل كل الرجل لابد أن يكون صاحب موقف .. ويأتى على رأس الرجال أصحاب المواقف .. الأنبياء والمرسلون والأمثلون من الصالحين والمصلحين واليكم بعض الأمثلة :

أ ـ مؤمن آل فرعون :

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) (2) .

انظر الى هذا الرجل .. الذى وقف كالجبل وأظهر ايمانه فى وقت كان لابد وأن يظهر ويقف أمام طاغية ومدع للربوبية وتسانده حاشية سوء . ثم يقوم الرجل بتذكير قومه ويخوفهم من بأس الله ويدعوهم الى الله والى الايمان به سبحانه وتعالى ولكنهم يدعونه الى الكفر والاشراك بالله .. ويدعوهم الى الجنة والمغفرة ويدعونه الى النار وبئس المصير .. ويتكرر هذا الموقف فى كل عصر وأمام كل طاغية .

---

(1) انظر : مجلة لواء الاسلام / (س ٣١) ، ع (٢) شوال ١٣٩٦ هـ ـ سبتمبر اكتوبر ١٩٧٦ م ص ٣٧ بقلم / رضوان البيلى .
(2) غافر : آية ٢٨

٢ ـ قال صلى الله عليه وسلم :

« لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير ذلك الامير ونعم الجيش ذلك الجيش »[1] سمع الطفل محمد الفاتح هذا الحديث وكبر فى ذهنه حتى اذا بلغ الـ ١٧ ربيعا حان الوقت الذى يحقق فيه حلم المسلمين وتحقيق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان .. ولقد حاول المسلمون منذ القرن الاول فتح القسطنطينية مرات عديدة وقد قتل الصحابى أبو أيوب الانصارى تحت أسوارها .

وادخر فتحها لهذا السلطان العثمانى الذى كان نعم الأمير وجيشه نعم الجيش .

٣ ـ طفل الحجارة فى فلسطين المحتلة :

ذلك العملاق هو رجل بحق لأنه الوحيد الذى عرف الطريق لتحرير المسرى والأرض من النهر الى البحر . ذلك الطفل الذى تربى على مائدة القرآن الكريم داخل المساجد الذى يريد أن يحقق ما جاء فى سورة الاسراء من وعد بالنصر .. حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فاقتله . ذلكم الطفل هو أفضل من الذين يجاهدون بالخطب فى هيئة الأمم المتحدة والمحافل التى تضيع الوقت وتدعى أنها سوف تقاتل اسرائيل بالسلام !! ويجاهدون من خلف المكاتب المكيفة . ان جميع المنظمات لم تصل الى مرتبة ذلكم العملاق الرجل الطفل طفل الحجارة .

٤ ـ ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾(٢) .

الشهيد سيد قطب رحمة الله :

عندما طلب من الشهيد سيد قطب أن يؤيد الطاغية العبد الخاسر

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(٢) الأحزاب : ٢٣

قال : ان السبابة التى أشهد بها فى كل صلاة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لا يمكن أن تكتب سطرا فيه دل أو عبارة فيها استجداء ، وعندما سيق رحمه الله الى حبل المشنقة يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦ م كان من المعتاد أن يحضر شيخ ليلقن الذى ينفذ فيه حكم الاعدام الشهادتين ، فقال له سيد قطب رحمه الله : اننى لم أقف هذا الموقف الا من أجل لا اله الا الله محمد رسول الله .. فهناك أناس يأكلون الخبز بلا اله الا الله وآخرون يقدمون رؤوسهم الى المشانق من أجل لا اله الا الله !!

٥ ـ الشعب الأفغانى :

ـ هذا الشعب البطل الذى لم يرض بالاحتلال الروسى لأرضه . ووقف وحيدا فى حلبة الصراع مع أول أو ثانى دولة على مستوى العالم !! وكان له يد طولى فى اذلال الشيوعية وارغامها بينما تجد أن بعض المشايخ الرسميين المعممين يذهب الى كابل ويصافح وزيرة الشباب ويهديها مصحفا . ولا يستح وهو (شيخ معمم) من هذا الموقف المتخاذل . بينما الأمر الطبيعى أن يذهب الى الخنادق ليشد من أزر المقاتلين[1] . « والآن وبفضل من الله ثم بفضل رجولتهم النادرة انتصروا وقضوا على الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتى الى عدة دول ، أما هم الآن على رأس السلطة وعادت أفغانستان مسلمة حرة الى هؤلاء الرجال الأفذاذ » .

* * *

---

(١) انظر : مجلة البيان ـ بريطانيا : ع (٢٩) ذو القعدة ١٤١٠ هـ ... ٦ / ١٩٩٠ م (ص ٥٢ ـ ٥٤) بقلم / محمد فرحان محمد .

المبحث الثانى

الرجـولة فى الاسـلام

الحمد لله الذى أحيا الأمم بعزائم الرجال . وأصلح باخلاصـهم الأحوال . وحقق على أيديهم الآمال .

واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . عنت الوجوه لعظمته ، وأشـهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الرجال وصفوة خليفته . اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، أهـل محبته الذين استضاءت الدنيا برجولتهم ، وسادت الأمة بمروءتهم ، فكانوا رجالا يحبهم الله ويحبونه . قال تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾(١) .

﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾(٢) .

﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾(٣) .

عباد الله : ان عناصر الرجـولة اذا اكتملت فى أمة فبشرها بالخير وتمام النعمة ، لأنها أخذت ترتقى مدارج العظمة ، وان صفات الرجولة اذا انتشرت فى شعب من الشعوب فقد تهيأ للوثوب ، وتحفز للنهوض ، ونال حقـه المغصوب وأصبح ذا جانب مرهوب .

وان معانى الرجولة اذا سرت فى مجتمع مسرى الشمس عاش عالى الهمة مرفوع الرأس . وأصبح ذا قوة وبأس .

و ذا ضعت الدولة على الرجولة استرعت الأنظار واستحقت الاعتبار ونظر اليها بكل اجلال واكبار .

---

(١) التوبة : ١٠٨ (٢) النور : ٣٧

(٣) الأحزاب : ٢٣

فالرجولة مقياس الأمم ، وعنوان علو الهمم . وعلى قدر وزنها توزن الامور . ويتدفق النور .

عباد الله : من هم الرجال الذين نقصدهم ونعنيهم ، ومن هم الرجال الذين ننشدهم ونبغيهم ؟

أهم الذين يأكلون اطيب المآكل ويشربون ألذ المشارب . ويركبون أفخر المراكب . وهم قعود عن اسمى الغايات والمطالب . أم هم الذين ضخمت اجسامهم . وامتدت قاماتهم . وملأوا الأعين بقوة أجسادهم وملاحة وجوههم . وقد خلت من الحكمة والرأى عقولهم . أم هم الغارقون فى الشهوات القاطعون الليل والنهار فى الملذات . وقد أعرضوا عن خلق الارض والسموات أم هم الجهلة المتغطرسون ، وعلى اخوانهم يتكبرون . وبالأعراض لا يعبئون . وفى الارض يفسدون ولا يصلحون . أم هم أصحاب الأموال والمتاجر وملاك القصور . وأصحاب الجاه والسلطان وحب الظهور . وقد عريت قلوبهم من الايمان والنور .

كل هؤلاء ليسوا برجال . انهم أشباه الرجال . لسنا نقصدهم ولا نعنيهم . انما الذين ننشدهم ونبغيهم هم الذين عناهم القرآن ووصفهم القرآن فى قوله : **الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** (١) .

هؤلاء هم الذين يخدمون أمتهم باخلاص ، ويقودونها الى طريق الخلاص . الصادقون فى أقوالهم الموفون بعهودهم ، البعيدون عن العبث والهزل . المبرءون من الهذيان واللهو . لا يغرهم ثناء ولا يبطرهم مدح واطراء .

---

(١) الفرقان : ٦٣ ـ ٦٧ .

يا عباد الله : ان دين الاسلام هو دين الرجولة ، فالاسلام هو الذى صنع بتعاليمه الرجال . ونبى الاسلام هو الذى ربى الابطال ، فعلمهم سياسة الأمم وقيادة الشعوب وتربيه الهمم . فكانوا خير قادة ملكوا زمام السيادة وسعوا على جد الحياة وحبب اليهم عملها وبغض اليهم لهوها فسرنوا على الشدائد وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

يا عباد الله : لقد تخرج على يدى نبيكم صلوات الله عليه طبقة ممتازة من أصحابه الأقوياء . لا يحصيهم عدد ولا نستطيع أن نذكرهم فردا فردا : كأبى بكر فى محبته وأخوته . وعمر فى عدله ورجولته ، وعثمان فى سخائه وسماحته . وعلى فى شجاعته وفتوته ، وكأبى عبيدة فى علمه . وابن عباس فى فقهه . وبلال فى ايمانه ، وصهيب فى اخلاصه ، الى غير هؤلاء من الصفوة الأعزاء رضى الله عنهم وأولئك هم الفائزون .

فاتقوا الله عباد الله فى أمتكم وتمسكوا برجولتكم ، عسى الله أن يعيد اليكم مجدكم ويقوى بكم دينكم .

ورد فى صحيح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يذهب الصالحون الأول فالأول ثم تبقون فى حثالة كحثالة الراكب لا يبالى بهم الله تعالى »[1] .

ولعل من أهم الفروق التى تميز المسلمين فى أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم ، « خلق الرجولة » . فقد غنى العصر الأول بمن كانوا هامة الشرف ، وعزة المجد . وعنوان الرجولة .

تتجلى هذه الرجولة فى « محمد » صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

---

(١) انظر : مجلة لواء الاسلام : (س ١١) . ع (٩) جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ ـ ديسمبر ١٩٥٧ م .

كما تتجلى فى أعماله فى أدوار حياته • فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة . والبطولة الفذة . ايمان لا تزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره . وعمل دائب فى نصرة الحق ، وهيام بمعالى الأمور ، وترفع عن سفاسفها ، حتى اذا قبضه الله اليه لم يترك ثروة كما يفعل ذوو السلطان ؛ ولم يخلف أعراضا زائلة كما يخلف الملوك والأمراء . انما خلف مبادىء خالدة على الدهر ، كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها . ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجلها •

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بمثله الرجولة • فقوى ميزات « عمر » أنه كان « رجلا » لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يمالىء عظيما أو أميرا • يقول فى احدى خطبه : « أيها الناس ، انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » •

وينطق بالجمل فى وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال ، كأن يقول : « يعجبنى الرجل اذا سيم خطة ضيم أن يقول : (لا) بملء فيه » • ويضع البرامج لتعليم الرجولة فيقول : « علموا أولادكم العوم والرماية . ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، ورووهم ما يجمل من الشعر » •

ويضع الخطط لتمرين الولاة على الرجولة • فيكتب اليهم : « اجعلوا الناس فى الحق سواء . قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ؛ اياكم والرشا . والحكم بالهوى . وأن تأخذوا الناس عند الغضب » •

ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة . فيقول : « ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم . ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » •

من أجل هذا كله كان هذا العصر مظهرا للرجولة فى جميع نواحى الحياة . نقرأ تاريخ المسلمين فى صدر حياتهم فيملؤك روعة ، وتعجب

كيف كان هؤلاء البدو وهم لم يتخرجوا فى مدارس علمية . ولم يتلقوا نظريات سياسية ، حكاما وقادة لخريجى العلم ووليدى السياسة — انما هى الرجولة التى بثها فيهم دينهم وعظماؤهم . هى التى ست بهم وجعلتهم يفتحون أرقى الأمم مدنية وأعظمها حضارة : ثم هم لا يفتحون فتحا حربيا يعتمد على القوة البدنية وكفى . انما يفتحون فتحا مدنيا اداريا منظما . يعلمون به دارسى العدل كيف يكون العدل . ويعلمون علماء الادارة كيف تكون الادارة . ويلقون بعلمهم درسا على العالم ، أن قوة الخلق فوق مظاهر العلم ، وقوة الاعتقاد فى الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية ، وأن الأمم لا تقاس بفلاسفتها بمقدار ما تقاس برجولتها .

هل سمعت عطفا على الرعية . وأخذ الولاة بالحزم كالذى روى أن معاوية قدم من الشام على عمر . فضرب عمر بيده على عضده فتكشفت له عن عضد بضة ناعمة : فقال له عمر : « هذا والله لتشاغلك بالحمامات . وذوو الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك ! » .

أو هل سمعت قولا فى العدل يحققه العمل كالذى يقوله عمر : « اذا كنت فى منزله تسعنى وتعجز الناس ، فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس » ؛ أو هل رأيت حزما فى الادارة كالذى فعله فى مسح سواد العراق وترتيب الخراج . وتدوين الدواوين ، وفرض العطاء .

حقا لقد كان عمر فى كل ذلك رجلا ، ولئن كان هناك رجال قد امتصوا رجولة غيرهم ، ولم يشاءوا أن يجعلوا رجالا بجانبهم ، فلم يكن عمر من هذا الضرب ، انما كان رجلا يخلق بجانبه رجالا ، فأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص والمثنى بن حارثة ، وكثير غيرهم كانوا رجالا نفخ فيهم عمر من روحه كما نفخ فيهم الاسلام من روحه . وأفسح لهم فى رجولتهم . كما أفسح لنفسه فى رجولته .

وكان أدبهم في ذلك العصر بصوره صحيحة رجولتهم يعتزون فيه بأفعال البطولة ومظاهر الرجولة ويقولون :

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ويعتد الشاعر بنفسه ويسمو به عن الهجاء والرثاء فيقول :

قد عشت في الناس أطوارا على طرق
شتى وقاسيت فيهم لين وانقطعا
كلا بلوت . فلا النعماء تبطرني
ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدري قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

ويعتز بشرفه وقومه وابائه الصميم فيقول :

وكنت اذا قوم رموني رميتهم
فهل انا في ذا فيهم هدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما
وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ويمدح رجل قوما فيقول :

« انهم كالحجر الأخشن . ان صادمته آذاك وان تركته تركك » .

ويقول أميرهم : « والله ما يسرني اني كفيت أمر الدنيا كله » . قيل : ولم أيها الأمير ؟ قال : « لاني أكره عدة العجز » الى كثير من أمثال ذلك . وعلى الجملة فأدبهم تام الرجولة . قد شبعت فيه الحياة . وامتلأ بالقوة . حتى اللاهي الماجن كأبي محجن الثقفي ، كان يغازل . وكان يشرب . ولكن اذا جد الجد وعزم الأمر كان رجلا يبيع نفسه لدينه . ويبيع كل شيء لشرفه وشرف قومه .

ونستعرض الغزل في الجاهلية وصدر الاسلام . فاذا هو غزل قوي لا ميوعة فيه . ولا تخنث . لا يذوب صبابة ، ولا يلتاع هياما . ولا يفقد الرجل فيه رجولته لحبه .

وفلت لقلبى حين نج به الهـــوى
وكلفنى ما لا يطيـق من الحب
الا أيها القلب الذى فاده الهوى
أفق لا افر الله عينك من قلب

* * *

وما آن لنكس الدنى ولا الذى
اذا صـد عنى ذو المودة أحرب
ولكننى ان دام دمت وان يكن
له مذهب عنى على عنـه مذهب

ولم يضن التاريخ على المسلمين من حين لآخر برجال لفتوا وجـه الدهر ، وغيروا مجرى الحوادث . ودفعوا عن قومهم الخطوب ، وأنزلوهم منزل العز والمنعة تضيق عن وصف أعمالهم الرسائل والكتب .

ثم توالت الاحداث . وتتابعت النوب . نقل من شوكتهم . وتفت فى رجولتهم . حتى رأيناهم بذلوا الشرف للمال . وقد كان آباؤهم يبذلون المـال للشرف . ولم ينظروا الا الى انفسـهم ودوى قرابتهم . وكان آباؤهم ينظرون الى دينهم وأمتهم . وتفرقوا شـيعا وأحزابا يدوق بعضهم بأس بعض . فكانوا حربا على انفسـهم بعد أن كانوا جميعا حربا على عدوهم ورضوا فى الفخر أن يقولوا : « دن اباؤنا » مع ان شاعرهم يقول :

اذا أنت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبـل

وناثرهم يقول : « لم يدرك الاول الشرف الا بالفعل . ولا يدركه الآخر بما أدرك به الأول » .

ورأينا خير ما فى الأمم حاضرها وخير ما فينا ماضينا .

* * *

أريد بالرجولة صفة جامعة لكل صفات الشرف . من اعتداد بالنفس واحترام لها . وشعور عميق بأداء الواجب ؛ مهما كلفه من نصب . وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين . وبذل الجهد فى ترقيتها ؛ والدفاع عنها والاعتزاز بها ؛ واباء الضيم لنفسه ولها .

وهى صفة يمكن تحقيقها مهما اختلفت وظيفة الانسان فى الحياة . فالوزير الرجل من عد كرسيه تكليفا لا تشريفا . ورآه وسيلة للخدمة لا وسيلة للجاه . اول ما يفكر فيه قومه . وآخر ما يفكر فيه نفسه . يظل فى كرسيه ما ظل محافظا على حقوق أمته . وأسهل شىء عليه يوم يشعر بتقصير فى واجبه . أو يوم يرى ان غيره أقوى منه فى حمل العبء . وأداء الواجب ؛ يجيد فهم مركزه من امته ومركز أمته من العالم . فيضع الأمور مواضعها ويرفض فى اباء أن يكون يوما ما عونا للأجنبى عليها . فاذا أريد على ذلك قال : لا بملء فيه . فكانت لا منه خيرا من ألف نعم وكانت لا منه وساما تدل على رجولته ؛ وكانت لا منه خير درس للناشئين يتعلمون منه الرجولة — يقتل المسائل بحثا ودرسا ، ويعرف فيها موضع الصواب والخطأ ومقدار النفع والضرر . ثم يقدم فى حزم على عمل ما رأى واعتقد . لا يعبأ بتصفيق المصفقين ؛ ولا بذم القادحين . انما يعبأ بشىء واحد هو صوت ضميره ، ونداء شعوره .

والعالم الرجل من أدى رسالته لقومه من طريق علمه . يحتقر العناء يناله فى سبيل حقيقة يكتشفها او نظرية يبتكرها ، ثم هو أمين على الحق لا يفرح بالجديد لجدته ، ولا يكره القديم لقدمه . له صبر على الشك . واغرام بالتفكير ، وبطء فى الحزم . وصبر على الشدائد ، وازدراء بالاعلان عن النفس . وتقديس للحقيقة ؛ صادفت هوى الناس أو أثارت سخطهم ؛ جلبت مالا أو وقعت فى فقر ؛ يفضل قول الحق وان أهين على قول الباطل وان كرم .

والصانع الرجل من بذل جهده فى صناعته ، فلم يشأ الا أن يصل بصناعته الى أرقى ما وصلت اليه فى العالم . عشقها وهام بها حتى بلغ ذروتها ، يشعر بأنه وطنى فى صناعته كوطنية السياسى فى سياسته . وأن أمته تخدم من طريق الصناعة كما تخدم من طريق السياسة ، وأن الصناعة لا تقل فى بناء المجد القومى عن غيرها من شئون الدولة ؛ فهو يحسن فنه . وهو لهذا يحسن سلوكه ، وهو لهذا يرفض ربحا كثيرا مع الخداع . ويقنع بربح معتدل مع الصدق وهو لهذا كله كان رجلا .

وفى الرجولة متسع للجميع ؛ فالزارع فى حقله قد يكون رجلا ، والتلميذ فى مدرسته قد يكون رجلا ، وكل ذى صناعة فى صناعته قد يكون رجلا . وليس يتطلب ذلك الا الاعتزاز بالشرف واباء المذلة .

من لنا ببرنامج دقيق للرجولة كالبرنامج الذى يوضع للتعليم ، يبدأ يرعى الطفل فى بيته . فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه كما يحافظ على الصك يوقع عليه ، ويعلمه كيف يكون رجلا فى ألعابه ، فيعدل بين أقرانه فى اللعب كما يجب أن يعدلوا معه ، ويلاعبهم بروح الرجولة من حب ومساواة ومرح فى صدق واخلاص .

ويسير مع التلميذ فى مدرسته ، فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يفعل الخطأ وان غفلت عنه أعين الرقباء . ولا يغش فى الامتحان ولو تركه المعلم وحده مع كتبه ، وكيف يعطف على الضعفاء ويبذل لهم ما استطاع من معونة . ويتمشى مع الطالب فى جامعته فيعوده الاعتزاز بنفسه والاعتزاز بجامعته والاعتزاز بأمته ، ويبعثه على أن يفكر فى عرض شريف له فى الحياة يسعى لتحقيقه — حتى اذا ما أتم دراسته كان قاضيا رجلا ، أو معلما رجلا ، أو سياسيا رجلا ، وعلى الجملة انسانا رجلا .

ويتابع الأمة فيضع لها الأدب الذى يبعث قوة والأناشيد والأغانى التى تملأ النفس أملا ، ويراقب فى شدة وحزم دور السينما والتمثيل

والملاهى . فلا يسمح بما يضعف النفس ويثلم الشرف ؛ ولا يسمح بما يحيى الشهوة ويميت العزيمة ؛ ويأخذ على أيدى الساسة والحكام ورجال الشرطة ؛ حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ؛ ولا يرهبوهم فيذلوهم .

من يبادلنى فيأخذ كل برامج التعليم ؛ وكل ميزانية الدولة ، ويسلمنى برنامجا للرجولة وميزانية لتنفيذه ليس غير ؟

ولى كبد مقروحة ، من يبيعنى بها كبدا ليست بذات قروح ؟[1]

* * *

---

(١) انظر : فيض الخاطر / احمد امين . ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . ١٩٥٨ م ط ٤ . ـ جـ ١ : ص (٢٥٠ ـ ٢٥٦) .

obeikan.com

المبحث الثالث

الرجولة فى ميزان الاسلام

درج الناس منذ فجر الحياة على تمجيد الرجولة والاشادة بها ان وجدت . واغداق السير وراءها ان عزت . وهم بين تمجيدها . والاشادة بها مضطربون . وهم لدى السير حثيثا لتحقيقها خابطون كحاطب ليل ، وهم تتضح لهم حقيقتها . ولم يستل واقعها الا فى ضلال مبادىء الاسلام الهادفة ، وتعاليمه المستنيرة الموجهة ، لأن الاسلام دائما ينشدها ، ويعمل على ايجادها اذ هى الوسيلة لتحقيق ما يتمنى . والتمسك بما يشرع للبشرية جمعاء بغية سعادتها . فهو ما جاء الا لسعادتها فى الدنيا والآخرة .

واذا بحثنا فى استقصاء جامع عن مكامن الرجولة ألفيناها تكمن فى ثلاث نواح رئيسية . هى : المنطق والفكر والقوة البدنية ، ثم تصب هذه الروافد — ان عذبة أو آسنة — فى مصب واحد هو السلوك . وهو يتفاوت امتيازا وانحرافا تبعا لتفاوت روافده غذوبة وعطنا .

وقد أولى الاسلام — دين الفطرة والحياة — كل ناحية من تلك النواحى فى الانسان بالتوجيه المثمر . والارشاد الحصيف . ثم أخذ بمجامعها فى النهاية نحو المثالية المبتغاة والكمال المنشود .

ولتبيان ذلك نستعرض سويا نهج الاسلام الحنيف فى تنمية روافد الرجولة لنصل معا الى صدق ما نقول . وحقيقة ما نحو اليه من رأى . فالمنطق أو الكلام . وهو العنصر الأول من عناصر الرجولة يتأرجح فى واقع الناس بين دفتين : احداهما ذميمة شائنة تتمثل فى اللغو والهراء بما يحملان من كذب وغيبة ونميمة ، وكل ما لا نفع فيه أو طائل تحته . والأخرى حميدة طلية تتجلى فى الخيرية النافعة . والكلمة الهادفة . فما موقف الاسلام منهما ؟ تتولى الاجابة عن هذا السؤال وصايا الاسلام الهادية فى هذا المجال ، والتى جاء بها الكتاب والسنة ، فهناك الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة التى تنهى عن لغو الحديث وهرائه ، وتحض على أن تكون الكلمة منطلقة من قاعدة الخير الى

هدف الخير ، يقول الله تعالى مبينا حقيقة عباده الجديرين برحمته ، المستأهلين الانضواء تحت حزبه المفلح ، يقول الله : **« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »(١) .**

ويسدد رسول الله صلى الله عليه وسلم منافذ القول أمام الرجل المسلم الا منفذ لخير العام والخاص . يقول في حديثه **الجامع** : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

ثم نقرأ في موازنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بين حسن الخلق وسيئه زجرا عنيفا لهؤلاء الذين يلقون الكلام دون وعي راشد أو تقدير سديد . يقول : « ... وان ابغضكم الي ، وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » أخرجه الترمذي . ولما كان اللسان أداة المنطق والرجل بمنطقه . نجد رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم يرشد في نصح حان ، وتوجيه جامع بصير الى التحكم فيه بغية الأمان من عواقب قد تؤدي بالمرء الى مصارعه . يقول صلى الله عليه وسلم : « امسك عليك لسانك » .

وقد كان الاسلام شديد الحذر من أولئك الذين يستحون دلاعة اللسان ، وفصاحة الكلمة ، وقوة العارضة مع جنوح الى النفاق ، وشغف بالزيف . فهؤلاء قد فقدوا أهم عنصر للرجولة الاسلامية ، وهو أمانة الكلمة ، وصدق التوجيه وهم خطر على الامة اذ في استطاعتهم لبس الباطل لبس الحق أمام السذج من الناس ولا يفقه زيفهم الا العارفون ، وقليل ما هم . وفي هذا المجال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبديا حذره من هذا الصنف : « ان أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان » .

ولما كان الاسلام في نهجه التوجيهي يراوح بين الترغيب والترهيب

---

(١) الفرقان : ٦٣

فاننا نجد القرآن الكريم يعقد موازنة شائقة جاذبة بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة .

ويصور الاولى بشجرة طيبة مثمرة . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . لدوام نفعها ، وانتشار خيرها ، ويصور الثانية بشجرة خبيثة سرعان ما تذوى كما يتلاشى الهراء من الكلام ، والهدف فى النهايه واضح يكمن فى الجذب الى خير الكلام والتنفير من لغوه وهرائه .

هذا هو موقف الاسلام بايجاز يغنى عن الاسهاب من الكلمة ، زينة المرء ، ونفع لمجموع ان هى حسنت وطابت ، ثم هى حطة للفرد ، وفساد للمجتمع ان هى ساءت وخبثت ، ولما كان التعبير بالكلمة مسبوقا بتفكير ـ أى تفكير ـ كان لزاما على من يتصدى لاصلاح الفرد بغية صلاح المجتمع أن يوجه الى اصلاح الفكر وسداد الرأى ، قصدا لسلامة المنطق ، والنأى به عن معاطن الشرثرة الهادفة ، والتشدق المقيت ، وجنوحا بالانسان الى الصواب الهادف ، واليقين البصير .

وفى هذا الميدان : ميدان الرأى الناضج ، والفكر المستنير نجد الاسلام يدعو الى تمحيص الرأى ، ليكون الانسان على بينة من أمره ، وينهاه عن أن يتبع ما لا يعرف : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾(1) .

ويوجهه الى ما يكمل شخصيته كانسان مفكر ، فيدعوه الى حرية الرأى . وعدم الجمود فى التفكير . أو الذوبان فيما ارتأى الآخرون ، وان جانب الصواب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم امعة . يقول : ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » .

(1) الاسراء : ٣٦

وينعى القرآن الى أولئك الذين جمدوا على تراث آبائهم المنحرف وتمسكوا بآرائه الضـــالة : **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبـــع ما الفينـــا عليـــه آباءنا ، أو او كان آباؤهم لا يعقلون شـــيئاً ولا يهتدون** (١) .

ولـــ كان الاسلام يرى الرجولة الحقة وســـيلة للنفع المبتغى . ويرى من دعائمها الفكر المستنير . فانه يدعو بالحاح الى استعمال العقل فى حصافة وتبصر لاستخلاص العلم النافع . ومعرفة أسرار الله فى خلقه. وكان من نتيجة ذلك ظهور جيـــل ممتاز من الرجال العلماء أو العلمـــاء الرجال الذين تميزوا بما توصلوا اليه ـــ أن الاســـلام دين الحياة بكل ما تحمل كلمة الحياة من معانى الخير الوارف . والسعادة الحقة .

والتاريخ أصدق شاهد على أن هؤلاء العلماء الرجال الذين نهجو نهج الاســـلام فى الفكر الســـليم . والرأى السديد كانوا مشـــاعل العلم المتوهج . ومناهل المعرفة السامية للناس أجمعين . يوم أن كانت أوربا . وكل من يتشدقون بالاختراع اليوم يعيشون فى ظلام حالك من الجهل المطبق والتأخر المزرى . ففى كل مجال من مجالات العلم والمعرفة يشدو التاريخ بأسماء لامعة لعلماء من المســـلمين . فلا يفتأ التاريخ يذكر باعزاز فى القانون فقهاء المســـلمين وفى الطب ابن ســـينا وابن رشـــد ؛ وفى الطبيعة الحســـن بن الهيثم . وفى الكيمياء جابر بن حيان . وفى الرياضة أبا بكر الخوارزمى .

ثم نأتى الى القوة البدنية وهى الميدان الفسيح ، والحلبة المناحة التى تتجلى فيها الرجولة فى زعم الناس منـــذ قديم ، حتى لقد أصبحت لفظة الرجـــولة بحكم قاعدة الايحاء اللفظى ـــ توحى عند سماعها بمعان تبرز كلها فى بسطة الجســـم ، وقوة العضلات ، وفناء العافية ، صورة المصارع الجبار الذى يصارع فيصرع ، ويغالب فيغلب .

---

(١) البقرة : ١٧٠

ولكن لاسلام الحنيف يصحح هذا الموضع المزعوم ، أو يصحح الصورة فى مخيلة الناس . فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمس معالم الصورة الأولى فى نفى زاجر ، ويثبت غيرها فى صحة واعتدال . اذ يقول فى حديثه الهادف : « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

فالقوة اذن قوة ارادة ، ومضاء عزيمة ، وحكمة رشيدة فى قيادة النفس البشرية . أما القوة البدنية الموفورة ان تحققت فعلا ، فالاسلام يفتح لها أبواب التنفيس لتنطلق الى أهداف تثمر ولا تضر كمن يوجه مجرى النهر الى أصول الزرع ومنابت الشجر ويحول بينه وبين الفيضان تجاه المدن والقرى خشية الدمار .

فهناك أول متنفس لتلك القوة البدنية ، وهو الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله . والدفاع عن دينه وعن كل أرض يذكر فيها اسمه ، فتكون قوة على الأعداء . أعداء الله والوطن : ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾(١) .

وثمة ميادين أخرى لتلك القوة البدنية يلخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الهادف : « عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » رواه الطبرانى .

---

(١) المائدة : ٥٤

من هذا الأثر النبوى الهادف ندرك أن الاسلام يتوجه بقوة المسلم البدنية نحو الخير العام والخاص ، وينأى بها عن الانطلاق نحو مهاوى الفساد والضرر لئلا يكون صاحبها كمن يطلق قذيفة على نفسه لا على عدوه .

وحتى لا ينفر المسلم من فونه اتقاء ما تجلب عليه من اثم نجد الاسلام بأسلوب الترغيب الجاذب يوجه الى الحرص عليها وتنميتها مع السير بها فى المسلك الأمين الذى اختطه الاسلام .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » .

نخلص من هذا الى أن الاسلام يعتبر الرجولة الحقة كامنة أو متجلية فى رأى سديد مبنى على البحث والتمحيص ، وكلمة طيبة هادية معبرة عن خير بغية الخير ، وقوة جانحة الى منابت النفع .

أما ما يلوح على مسرح الرجولة من مروءة وشهامة ، وتعاون وتضامن وشجاعة وأريحية فاخالها معزوة الى ما سبق فهى كأوراق خضراء يانعة فى أغصان تلك الدوحة الباسقة (الرجولة) .

وبعد فهل يمارى أحد فى اعتدال سلوك من يمنح هذه الرجولة الاسلامية ؟ أعتقد لا — وأخالنى على صواب[1] .

* * *

(١) انظر : مجلة الضياء — الامارات العربية المتحدة : ١ س ٧ ، ع (٢٠ ، ١٤٠٧ هـ — ديسمبر ١٩٨٦ م) عبد الفنى أحمد ناجى) .

المبحث الرابع

الرجولة فى الدين

ربما دار بخلد بعض الناس أن الرجولة هى الرجولة فى الدين وفى غير الدين ، لأن القيم الأخلاقية ، والمعايير الأدبية ، لا تختلف بالاعتبار ، ولا تتباين فى نظر الدساتير . خصوصا اذا كانت من الصفات الانسانية المحمودة . والعوارض الذاتية التى لا تأباها الطباع ولا تنفر من مصاحبتها النفوس .

وفى الحق أن الاسلام هذب كثيرا من الأوصاف ، وشذب غير قليل من العادات . وانتقل بسلوك الناس انتقالا يكاد يجعله متباينا كل التباين أو بعضه . اذا ما قيست حاله القديمة بحاله الجديدة ، وقورنت أنماطه فيما بعد بأنماطه قبل ذلك .

فالرجوله فى نظر الشطار واللصوص ، ليست هى الرجولة فى نظر من يحبون المسالمة ، ويميلون الى الموادعة ، ويكلفون رغباتهم وجهودهم فوق ما تطيق . لايصال السعادة الى من يجاورهم فى المسكن . ويعاشرهم فى البيئة . ويشاطرهم هواء السماء ، ومياه الدأماء . وكذلك كانت الرجولة فى الجاهلية ، والحروب همهم ، والفتك دأبهم ، وازهاق الأرواح ديدنهم . يباهون بمناعة الكلأ ، وحماية الوحوش . فاذا استرعى فى أرضهم دخيل ، أو اصطاد من بريتهم أجنبى ، عدوا هذا تطاولا على حوزتهم ، واستباحة لذمارهم ؛ والويل لمن تحدثه هواجسه أن ينال منهم ، أو يدخل عليهم ؛ ووقائعهم التى سجلها التاريخ ، وتضمنتها بطون الكتب ، لم تخرج فى جملتها وتفصيلها . عن كونها انتصار للأباء ، واحتفاظا بالشمم ، ودفاعا عن الجانب ، وغضبة للكرامة ، وصيانة للرجولة التى هى أثمن ما يمتلكون .

وليس معنى هذا أننا نقرهم على ما كانوا يفعلون ، أو نمتدحهم على ما كانوا يأتون ، ولكننا ــ فقط ــ نكشف عن ناحية من نواحى

تلك الكلمة فى فترة من فترات الزمن حيث كانت تاجا من تيجان الشرف . وحلية من حلى الفخار . وشعارا من شعائر المجد . بصرف النظر عن الجاهلية والاسلام .

وحينما يتجلى لك أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء الى العرب **برجولة من طراز** آخر سجدوا له وآمنوا به ؛ تعلم الى أى مدى كان هذا الدين يحتضن الرجولة . فيبذر بذرها . وينمى غرسها . ويتعهدها بالرى والصون . ولعل أبرز مظاهر هذه الصفة ؛ وأجلى نعوت يستطيع الانسان أن يجدها . تلك الفضيلة ما يقرؤه القارىء فى آية : « **كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين** »(١) .

لأن الرجولة تعتمد على الحق أولا وقبل كل شىء والله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض بالحق . وأقامها على الحق ؛ وجعل عمارة الدنيا بالحق ؛ وتكررت فى القرآن كلمة الحق ؛ وسمى الله نفسه الحق ؛ ولا فضيلة من الفضائل ؛ ولا مكرمة من المكارم . للرجولة فيها مدخل ؛ ولها اليها انتماء . الا وأنت واجد الحق قوامها . والصدق عمادها .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكد يعلن اسلامه ، ويرى انزواء المسلمين بدينهم . واختفاءهم بعقيدتهم . حتى قال : يا رسول الله ألسنا على الحق . وهم على الباطل ؟ ولما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : نعم . قال له : علام نرضى الدنية اذن ؟ وكان هو مبدأ انتفاع المسلمين برجولته ؛ ومطلعا من مطالع استجابة دعوة صفوة الخلق « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك » . ثم تلا ذلك موقفه فى الهجرة وغيرها من المواقف الخالدة المشهودة .

واذا كان أميز ميزات الرجولة غنى النفس ؛ وترفعها عن الدنايا ؛ فقد كان يقول : « اذا رأيتم فى اعوجاجا فقوموه بسيوفكم » .

---

(١) النساء : ١٣٥

وكذلك كان غيره من الخلفاء يقول مثل هذا القول ؛ وهو مظهر من مظاهر الرجولة فى أحسن صورها ، وأبهج مناظرها ، لأن الثقة بالنفس . والاعتزاز بها مكانة لا يسمو اليها الرجال الا حين يبلغون من المجد الغاية ، ويشارفون من السؤدد النهاية .

واذا ما تطرق الخلل الى هاتين الناحيتين والعياذ بالله . رأيت مركب النقص . يعمل عمله . فيعزى بالفساد ، ويسوق الى الملق والرياء ، ويحمل على الكذب ، ويزين للناس الرذيلة ، فى ألوان متعددة . وأشكال مختلفة . وهنالك تكون الرجولة عندهم من أبغض الأشياء . وأحقر الصفات .

وقد تطلق اللغة الفسولة على ما يقابل الرجولة ، وهى كلمة تجمع فى ثنايا حروفها صفات اللؤم . وخصال الشر ، ومعانى الدناءة . فعادم الشرف . وفاقد المروءة ، وناقص الذوق ، وبليد الحس — ليس برجل ، ولا فيه من المزايا والاعتبارات ما يقربه بعض الشىء من حدود هذه التسمية . قليلا ولا كثيرا .

واذا كانت كلمة الانسان ترادف كلمة الرجل ، فذلك لأن الرجولة أنس وألفة ومودة ورحمة ، وحنان وعطف ، ورقة ولين . وتعاون فى الخير ، وتضافر على الاصلاح ، لتصير الحياة فى نظر الأحياء « جنة عرضها السموات والأرض » ولذلك فان الناظر فى كتاب الله يجده فى تكاليفه كلها ، ينتهى بالعباد الى هذه النهاية التى تجعلهم ملائكة تمشى على قدمين ، فلا حقد ولا حسد ولا لؤم ولا رياء ، ولا كراهية ولا بغضاء . ولكن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ويخيل الى أنه ليس طريفا ولا جديدا أن أحاول فى هذا البحث اثبات أن الرجولة اسم لما تضمنته تعاليم الدين وتكاليفه ، وأنها لم تخرج عن كونها امتثال بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فان قوله

تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ، بشابة الفيصل فى ذلك كله ، لأنه سبحانه لم يذكر المؤمنين بعنوان الرجولة فى معرض كونهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه الا ومقصده الاشعار بعلة التسمية ... وهى تحديد صحيح للرجولة كما يراها الدين ... ولولا أننا صرنا الى زمن متعوس . وجيل منحوس . تتبدل فيه الأوضاع . وتنعكس الحقائق . وتنحرف المقاييس . لما رأينا من يسمى اللصوص . أو يطلق على قطاع الطرق ، ويخلع على المغرورين الحمقى . ألفاظا لا يتناسب شرفها مع وضاعتهم . ولا يتلاءم سموها مع انحطاطهم . وسوء انحدارهم . وقبيح تدليهم ...

فهل نعيد النظر ، ونحق الحق ، ونبطل الباطل ، ونعلم أن الرجولة أبعد الأشياء منالا . وأندر المعوقات مثالا . اللهم الا فى فلسفة الحكماء . وخيال الشعراء[1] .

* * *

(١) انظر : مجلة الأزهر : مج ١ ، ٢٠ ، بتاريخ محرم ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ص (٧٤٥ - ٧٤٧) بقلم / ابراهيم ابو الخشب .

المبحث الخامس

كلمتـــان

● **أخـلاق :**

صدق الشـاعر اذ يقول : « وانما الأمم الأخـلاق ... » فانه مما لا يجوز أن يشـك فيه أن قـوام الأمم الأخلاق . فان تخلت عنها أصبحت ولا عاصم لها من الضياع والتهدم . وهل أدل على هذا مما وقع ويقع تحت اسماعنا وأبصـارنا من أمم تنهـار ، وأخرى لا يزيد الزمن وما يجيء به من بلاء الا قـوة . ولا الشـدائد التى يطـير لهـا قلب الشجعان الا استمساكا ومنعة ! ومرجع هذا الضياع ضياع الأخلاق فى الأولى ، واتصالها وقوتها فى الأخرى . هذا حق لا يحتاج لدليل فوق دليل الواقع . وهو يصدق على الافراد والجماعات الصغيرة ، كما يصـدق على الجماعات الكبيرة والأمم . وكما يصـدق كذلك على دور العلم وما اليها من المعاهد والمؤسسات المختلفة . ان نقيصة خلقية واحـدة قد تكون سـببا قـويا فى فسـاد الأمر وشـقاء كثير من الناس . ولتمثـل ذلك بالكذب . وبالكذب يقترفه كبير ممن يجب عليهم بحكم علمهم وتربيتهم وثقافتهم ان يتنزهوا عنه . ويصدر عنه بسهولة ويسر كما يصدر الصدق عن الصادق ، بل ربما وجد ذلك سائغا لذيذاً :

نجتمع وبعض الاخوان والزملاء لأمر من الأمور العامة . ويكون الغرض من هـذا الاجتماع الصـالح العام ، ويتحدث بعض المجتمعين فى اخلاص وصدق مبينين هذا الصالح ومشيرين للوسائل الطيبة التى توصل اليه . ثم ينتهى الاجتماع والكل مستبشرا بما تم وواثق من نجاح القصـد . وما هو الا قليـل حتى يتبين للقائمين بهذا الاجتماع أن ما كان فيه قد تبرع بعض الاخـوان بنقله محرفا مبدلا تقربا منه الى الرؤساء . دون أن يدرك كبر ما تولى واثم ما اقترف ! ودون أن يعلم

أن ما نقل كاذبا سيتبين سريعا كذبه ، وأن العاقبه ستكون حتما سيئة له وللصالح العام الذى كان يقصده الجميع .

ومثال آخر : يكون لك عند هذا الموظف الكبير امر هو من عمله بحكم منصبه . تذهب اليه معتقدا ان الامر سهل لا عسر فيه . وانك بين أمرين فى كل منهما رضى : اما «نعم» مثمرة واما «لا» مريحة يتلقاك هذا الرجل باهلا وسهلا ، ويعدك ويسرف فى الوعد باجابة ما ترجو ، حتى تخرج معتقدا أن ما ترجو صار على طرف الثمام او حبل الذراع كما يقولون : وتمر الأيام وأنت دائب السعى وهو دائب التوكيد لما وعد . ملتمس كل مرة تعلة من الانجاز تقبلها وأنت راض معتقدا أنه صادق كما يكون الرجال . حتى اذا جد الجد . وحان آخر أجل ضربه لقضاء ما ألحفت فيه من أمر . فر منك وأنكر ما وعد . فاذا بما كنت تعتقد من أمر مقضى صار معضلا . واذا بمصالح تضيع عليك كان من الواجب ألا تضيع .

أيها الكاذب ، أيها الانسان صورة لا حقيقة أليس الكذب الا جرأة على الله وخوفا من العبد .

انما يكذب المجرم خوف العقوبة ، ويكذب الخادم خوف السيد . وقد يكون لهذين وأمثالهما من الجهل عذر فى الجرأة على الله مالك الأمر كله . والخوف من العبد الذى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا . ولكن ما عذرك أنت فى نقل ما لم يكن ، وفى تحريف الكلم عن مواضعه . وفى استسهال الكذب واستعذابه ! أتقوم امه وامثال هذا الرجل . تجوزا . كثيرون فيها بل وممن يسمع لهم !

رحم الله ابن السماك اذ كان يرى أن الكذب مما يتفق مع الأنفة والمروءة حتى ليخشى ألا يؤجر على تركه . ولعمرى لقد صدق ابن السماك : فالكذب يجب أن يترك أنفة لأنه لا يلائم الفطرة التى لم يلحقها لؤم ولا دنس . ولذلك حرمته الأديان كلها ، بل حرمه الحكماء وإن كانوا وثنيين لم يأتهم نبى أو رسول .

● **من الرجـولة :**

الرجولة واعنى بها احترام المرء لنفسه وتقدير ما منحـه الله له من نعمة الحرية فى الارادة . فلا يسـخر نفسـه لغيره تسـخيرا يذهب بالكرامة والخلق وبجانب المروءة . ولا يجعل نفسـه عبدا لهذا • وظلا لذاك يزول بزواله • حتى كأنه لا يعرف لنفسـه وجـودا مسـتقلا كانسـان ورجل !

الرجوله بهدا الفهم أمر يسير كل اليسر تارة . وعسير كل العسر تارة أخرى • يسـير على من يرى أن الناس ولدتهم أمهاتهم أحرارا فلا يصح ولا يجمل أن يعودوا عبيدا . ومن يعتقد أن الله مالك الأمر كله . فهو يعطى ويمنع متى شـاء وحده دون أن يكون لأحد من خلقه أمر من الأمور معه • وهى أمر عسير الى أقصى حدود العسر على من عدمت ثقته بالله أو ضعفت • فهو يرى أن الرزق والنعمة أمور يملكها ذوو الجاه واصحاب السـلطان وحدهم . يتصرفون فيها كما يريدون بالبسط والامساك فهو لهذا يبحث عن سيد يملكه نفسه ويتنازل له عن رجولته فى سـبيل ما ينال منه •

والأمة لا تعظم بالملايين التى تضـمها من الناس الذين يغـدون ويروحون . بما تضم من الرجال وان كانوا قلة من الناحية العددية •

ليس برجل من لا يستطيع أن يقول : لا اذا سـيم خطة خسف !

ليس برجل من اذا ضمه مجلس لكبير من الناس قعد منه مزجر الكلب وجعل نفسـه بوقا له يردد ما يقول ويؤمن بما يحدث ويتابع ما يرى !

ليس برجل من يكون مصداق الشاعر الذى يقول :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعـدتانى

ليس برجل من يقبل عليك مع الدنيا حين تقبل ويدبر عنك معها حين تدبر . ويناوئك لان الرئيس تحدى عليك غضبانا !

ـ انما الرجل من آمن بالله وانه الضار النافع . وخالط هذا الايمان قلبه وروحه . فهو يصدع بالحق وان هدد بالويل والثبور . انما الرجل من عرف حقا ان الدنيا عرض زائل فاحتفظ برجولته وكرامته . ولم يرض لنفسه ان تثلم هذه الكرامة ولو كان البدل الدنيا بأسرها . انما الرجل من ينصح لامته وأولى الامر فيها ان تمنق لهم اشباه الرجال الذين يدورون مع الريح ويغيرون ما سبق ان اعتقدوا من آراء كما يغير المرء قميصه وجلبابه ان غدا لا يتفق مع البدع !.

مثل الرجولة كثيرة يزخر بها التاريخ أيام عز الاسلام ومجده . ومن فضول القول ان نذكر من هذه المثل ما كان من عمر الفاروق وقد أزمع الهجرة بدينه من مكة ؛ ومراجعته للرسول الذى لا ينطق عن الهوى فى أمور نزل القرآن فى بعضها مؤيدا لرأيه ؛ ونحو هذا مما حفظ التاريخ لكثير من الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم . ولكنى أكتفى من ذلك بمثال واحد فيه رجولة مكتملة .

هذا المثال نراه فى محاولة الهادى الخليفة العباسى خلع هارون الرشيد من ولاية العهد ومبايعة ابنه جعفر ؛ لقد جلس الهادى ؛ لما صحت منه العزيمة على هذه الفعلة للناس ؛ وشرع فى أخذ البيعة لابنه جعفر وخلع الرشيد . فبايع مشيخة العرب والقواد . ثم جيىء بالقائد هرثمة بن أعين ليبايع فأبى وقال : ان يمينى مشغولة ببيعة أمير المؤمنين . وشمالى مشغولة ببيعة هارون ؛ فأبايع بماذا ؟

فأجاب الهادى بقوله : « تخلع هارون وتبايع جعفرا ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أنا رجل أدين بنصيحتك ونصيحة الأئمة منكم أهل البيت . وبالله لو تخوفت ان تحرقنى على صدقى ياك بالنار لما حجزنى

ذلك عن صدقك ان البيعة يا امير المؤمنين انما هي ايمان . وقد حلفت لهارون بمثل ما تستحلفني به لجعفر ، وان خلعت اليوم هارون خلعت جعفرا غدا » . هنا استشاط الهادي غضبا . وأمر بوجيء عنق هرثمة . ثم تاب لرشده واكتفى باسقاطه من قيادته واخراجه ملوما مدحورا . وأخيرا . وجم الهادي ساعة لا يامر ولا ينهى . ثم رفع راسه وأمر برده وقال له : يا حائك ! يبايع اهل بيت أمير المؤمنين وفيهم عم جده وعم أبيه وعمومته واخوته وسائر اهله ، ويبايع وجوه العرب والموالي والقواد ، وتمسك انت عن البيعة . فقال هرثمة . يا أمير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من أعيان الناس ! الا ان الأمر على ما بايعت لك . انه لا يخلع اليوم أحد هارون ويبقى في غد لجعفرا » . قال الطيغوري راوي هذا الحديث : فالتفت الهادي الى من حضر مجلسه وقال لهم : شاهت الوجوه ! صدق والله هرثمة ، وبر وغدرتم ، ثم امر لهرثمة بخمسين الف درهم وأقطعه أرضا واسعة .

أرأيت هذه الرجولة الكاملة واعتزاز هرثمة . يرفض في عزم ثابت ارادة الخليفة وهو الحاكم المطلق حين ذاك في أمر أجمع عليه كبار الدولة . ويحاج في قوة عن رأيه رغم تهديده بالقتل ، ويصمم على ما يرى حتى يظفر بالغلبة والنصر ويعرف الخليفة له سداد الرأي وصدق الرجولة وكامل الوفاء ، فلا يخرج من حضرته الا عزيزا كريما منصورا متابا !

أين هذا مما عليه كثير من كبرائنا وسادتنا بحكم مناصبهم ومراكزهم الذين فتنوا الناس في أخلاقهم ودينهم وأضلوهم السبيل ، اذ قلدوهم في شعارهم وهو الميل مع الريح حيث تميل !

مثل هذا الموقف العظيم لا يقفه الا رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويؤمن برجولته نعمة من الله يجب رعايتها ، ويؤمن بأن الخلق جميعا

لا يستطيعون أن ينفعوا أو يضروا أحداً بما لم يرده الله وان كان بعضهم لبعض ظهيرا وبهذا الخلق وأمثاله تعتز الأمة ويشيع الخير فيها ، بتقليد الصغير للكبير والعامة للسادة .

أما نحن فوا أسفاه . لا يحتاج الرئيس بله الحاكم . لاعداد بعض من تحت ريسته أو تهديده ليطيع فيما يريد ، بل يكفى أن يستشف بعض هؤلاء الذين لهم صور الرجال دون حقائقها رغبة الرئيس ، فيسارع الى تحقيق ما يريد ، لا يرعى فى ذلك الا ولا ذمة ولا كرامة !

وبعد . فاننا نتوجه الى الله الذى لا حد لقدرته أن يغير ما بأنفسنا ، وأن يجعلنا رجالا تعتز بهم الأمة العربية والاسلام[1] .

* * *

---

(١) انظر : مجلة الأزهر : مج (٢٢) بتاريخ ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م / محمد يوسف موسى ص (٢١٠ ـ ٢١٤) .

المبحث السادس

مفاهيم قرآنية للرجولة والرجال

إن التعبير الشائع لكلمة الرجولة بمعنى الذكورة يضيق من مفهومها ،وكذلك كلمة رجل التى اعتدنا اطلاقها كتمييز للنوع عن الأنثى . ولكن كموقف ومبدأ ، والرجال كتصرف وسلوك هو ما نحاول القاء الضوء عليه مسترشدين بكتاب الله العزيز . فانك تجد من يصف أنثى بأنها وقفت وقفة رجل . وتجد من يسلب من الرجل صفة الرجولة وتجد من يعتبر الرجولة مظهرا وشكلا . الى آخر ما فى دنيا الناس من اختلاف المفاهيم ، وربما تساءل البعض ما المقصد من وراء ذلك ؟

ونقول انها حاجة الاسلام الى الرجال وليس الى اعداد من البشر محسوبة عليه . ان آلف مليون مسلم يملكون نعما حباهم الله بها . وموافع استراتيجية يحسدون عليها ثم لا يكون تاثيرهم معادلا للرجال الأوائل فى الاسلام على الأقل ان لم يكن أكثر وأكثر . ولا يكون نفعهم مماثلا للسابقين من المؤمنين ، يدعونا الى التأمل والعجب ، ويدفعنا الى المناداة الى المفاهيم القرآنية والسنة المحمديه لنستقى منها ونتعرف على موطن الداء والدواء ثم الاجتهاد فى التربية على هذا المنهج الرشيد لتصلح الدنيا وتحسن الخاتمة باذن الله .

ومع مفهوم الرجولة والرجال فى القرآن تلمس عدة مواضع المعنى العادى للرجل بمعنى تمييز النوع كقول الله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ (١) .

ولكن الكثير من المواضع والآيات تشير الى الرجولة كصفة للعاملين المخلصين الأعزة الاباة ، والمحسنين العاملين أصحاب المواقف الطيبة الرشيدة . انها صفة لأعلى درجات الانسان ، صفة للنبوة والأنبياء ، وهى صفة لأنصار الأنبياء والرسل ، وهى صفة للصادقين من عباد الله ، صفة المؤمنين الذين جعلوا الله فى قلوبهم رقيبا ، والقرآن فى صدورهم رفيقا ومحمداً صلى الله عليه وسلم هاديا ومنيرا ، ثم

(١) النساء : ٣٤

انطلقوا فى فجاج الأرض يشقون فى مناكبها ليكدوا فى الحلال ويفروا من الحرام ، وليتمسوا الأخلاق ويهدوا الرفاق ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا** ﴾(١) .

وتأمل قول الله تعالى من المؤمنين ولم يقل كل المؤمنين ، فصفتهم الصدق فى الايمان والوفاء بعهد الله بدءا من التوبة الى التسليم فى قوله تعالى وما بدلوا تبديلا . بل سلموا وقالوا كل من عند ربنا وما دام من عند الله وجب فيه العمل المخلص الذى يرضيه تعالى . فهو صدق منزه عن الغرض . بعيد عن الطمع . صدق لا يعرف التلون أو التمويه أو الخداع .

﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾(٢) .

ومن الطبيعى اذن أن يكون الرجل أول الرجال وأفتاهم ويتكرر وصفهم فى ثلاثة مواضع بصيغة واحدة وفى ثلاث سور لا نجد فرقا حتى فى الألفاظ سوى كلمة « من » فى احداها لعل فى هذا حكمة ولا تدركها وتأمل معى :

﴿ **وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى** ﴾(٣) .

﴿ **وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** ﴾(٤) . وهذه زيد فيها كلمة (من) .

﴿ **وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** ﴾(٥) .

وهكذا نرى الأنبياء رجالا قاموا بمشقات الرسالة وأعباء التبليغ ومقتضيات القدوة حيث لا يتحملها الا طراز خاص نحتاج الى التأسى

---

(١) الأحزاب : ٢٣
(٢) الأحزاب : ٤
(٣) يوسف : ١٠٩
(٤) النحل : ٤٣
(٥) الأنبياء : ٧

بهم وتلقف هديهم ومن ثم تتساءل عن امامهم وقدوتهم اذا ما كان قد وصف هو أيضا بتلك الصفة ويأتى الجواب فى قوله تعالى : **﴿ أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ﴾(١)** .

وننتقل الى أنصار الرسل والأنبياء فنجد هذه الصفة من أبرز صفاتهم التى أشاد الله بها ولنا فى صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الواضح حين أشاد الله تعالى بعمار المسجد المؤسس على التقوى فى معرض الحديث عن مسجد الضرار الذى كان اليهود وراء اقامته تفريقا للمسلمين وارضاء لمن حارب الله ورسوله ولنتلوا معا قول الله تعالى : **﴿ لا تقم فيه أبدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ﴾(٢)** .

وتبدو صفة الرجولة واضحه فى الصحابة الذين يعمرون مسجد التقوى ونشير الى صفة بارزة للرجال وهى الطهارة باطنا وظاهرا مخبرا ومظهرا فى أنفسهم وأعمالهم . فهى لهم خلق وطبع وليست عادة فقط لأنهم محبون للطهارة فهى خلق متمكن منهم وطبع أصيل فيهم وهم أبعد ما يكونون عن القذر الحسى والمعنوى وكارهون للرجس والسوء والفحشاء .

وكذلك كان أعوان كل نبى رجال . وكثر ذكر الرجال فى بعض أنصار سيدنا موسى عليه السلام حيث تحدث القرآن عن أربعة مواقف فى هذا التآن اثنان كان النصير من آل فرعون واثنان كانا من قوم موسى وهم حسب الترتيب الزمنى موقف الرجل الذى جاء من أقصى المدينة ليحذر موسى من التآمر عليه ثم موقف مؤمن آل فرعون يحذرهم

---

(١) يونس : ٢ (٢) التوبة : ١٠٨

من قتل موسى ثم موقف التوبة باختيار سبعين رجلا ثم موقف رجلين من قوم موسى ينصحان بنى اسرائيل بعدم المخالفة وكان الرجال فى بنى اسرائيل معدودين ولكن باستعراض هذه الاربعة نخرج بذخيرة قرآنية من صفات الرجولة والرجال .

وانظر الى أولهم يسعى من أقصى المدينة حبا فى موسى ورب موسى ينبهه الى خطورة بقائه بالمنطقة لينقذه من تدبير فرعون ودسائسه وتبدو الرجولة واضحة فى وصف الله له حيث لا ممالاة ولا محاباة ولكنه المبدأ والواجب تحت أية ظروف ومهما كانت العقبات . .

« وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى، قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين »(١) .

ويذكر موقف هذا الرجل بنصير آخر وقف بجانب الأنبياء الذين بعثهم الله الى أهل القرية التى قيل انها انطاكية حيث وقف أهل القريه منهم موقف المعاند المستكبر حتى وصل الأمر الى التهديد الصريح باعدام الأنبياء رجما بالحجارة : **« لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم »(٢)** هكذا بكل وضوح وتجبر يحارب أهل الحق وحملة الفضيلة وتهدد كل دعوة للبناء والاصلاح ويبدو الباطل متوعدا متوحشا ويتجبر البشر ويستكبر الانسان .

ووسط هذه الظلمات المدلهمة ينقشع الباطل أمام رجل لا يهمه قرية بأكملها أو مجتمع بأسره أنها رجولة الايمان التى تبدى النصيحة وتقول الحق لا تخشى فى الله لومة لائم وهى شهامة المخلصين لمواجهة الظلمة والمتجبرين ومهما قل الأنصار فقد تسلحوا باليقين والثقة برب العالمين ليكون هناك حد من غلواء المكذبين المسرفين فالله عندهم خير

---

(١) القصص : ٢٠

(٢) يس : ١٨

وأبقى ومن أجل هـذا نطق القرآن بقصـة الرجل مع أهل قريتـه : **﴿ وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى ، قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون ﴾(١) .**

ونراه شـأن الرجال يعلن عقيـدته فى وضـوح ودون خضوع : **﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون . أاتخذ من دونه آلهة ، ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . انى اذا لفى ضلال مبين . انى آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾(٢) .**

حتى وهو فى الجنة حريص على قومه وهكذا حب الرجال لأهليهم وأوطانهم وحرصهم على هدايتهم واصلاح حالهم .

ونستكمل المواقف الثلاثة الأخرى للرجال مع سـيدنا موسى فنعود الى مؤمن آل فرعون الذى لم يذكر الله اسمه ليعلمنا أن الرجولة من صفاتها انكار الذات واخلاص الوجه لله ولهذا كانت تسـمية الأولياء برجال الله ، ان هـذا الرجل الذى سميت سورة غافر باسمه حيث يطلق عليهـا سورة المؤمن يقف ضد قومه وضد فرعون وملئه ويناصر موسى الذى هو من جنس ليس من جنسـه ولا قرابة بينه ولا صلة الا الايمان وتظهر الرجولة اذا علمنا مدى جبروت فرعون وكيف استحل لنفسـه ملك مصر وكيف أعانته بطانة السوء من هامان وقارون وغيرهما وكيف اعتبر نفسـه الها لا ترد له كلمة ، وسط هـذا الجو الرهيب يأتى صوت الهداية ممن يكتم ايمانه :

﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ﴾(٣) .

---

(١) يس : ٢١ . ٢٢ (٢) يس : ٢٢ ـ ٢٧
(٣) غافر : ٢٨

ويستمر القرآن مع الرجل المؤمن على مدى تسع آيات كاملة يبين حكمة الرجل وعلمه بتاريخ من سبقه ونظرته الى عواقب الأمور وخوفه على قومه ولكن من يسمع للناصحين .

ونستمر مع نبى الله موسى بعد خروجه ببنى اسرائيل من مصر لنشهد معه موقف رجلين ينصحان قومهما بعدم مخالفة موسى وأن يدخلوا معه الأرض المقدسة دون خوف من الجبارين ولكنه طبع اليهود الغادر وجبنهم المتأصل مما يدفع الرجلين الى أن يبينا أن المطلوب هو الامتثال وعلى الله الاتمام لأن الامتثال تصديق واخلاص فيه والغلبة والنصرة من الله أو صدق الاتباع ﴿ **قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** ﴾(١) وهذه على مر العصور أسباب النصر ايمان وامتثال وتوكل وصلة قوية بالله تعالى لا تزعزعها فتن أو تهزها شدائد .

ولعل الموقف الرابع أبلغ فى التعبير عن أن الرجولة صمود ضد تيار الانحراف حيث لم تثبت أصالة بنى اسرائيل فى عبادة الله حين تركهم موسى ليأتى لهم بالألواح هداية من الله ولكنهم خيبوا ظنه ورجع اليهم ليجدهم قد عبدوا عجلا جسدا له خوار وأخبره الله تعالى بذلك وماذا بعد غضب الله أن ينقذهم أنه يختار من صمدوا وثبت اخلاصهم .

﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل وايای ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين** ﴾(٢) .

انا لا نريد كثرة الرقعاء والمتخنثين . ولا نريد كثرة الكسالى والطامعين ولا نريد كثرة الجاحدين المتشككين انما نريد كثرة من ملكوا الدنيا ولم تصرفهم عن ربهم أو انما استعملوها وعمروها فى سبيل ربهم

---

(١) المائدة : ٢٣ (٢) الأعراف : ١٥٥

وجعلوا الموت شـهادة فى سبيل رفعة دينهم ونذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم :

« تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا أو من قلة نحن يا رسول الله بل كثير ولكن كثرة كغثاء السيل » . ثم علل ذلك بقوله : « انه حب الدنيا وكراهية الموت » .

لهذا ندعوا المسلمين بنداء سيدنا لوط لقومه حين أساءوا الأدب مع ضيوفه « أليس منكم رجل رشـيد » .

أما الذين آمنوا ولم يستطيعوا حيلة ولم يهتدوا سبيلا فى البلاد التى يحكمها غير المسلمين . فالرجولة بالنسبة لهم صمود وثبات وكفاهم أن الله تعالى شاءت حكمته أن يؤجل فتح مكة سـنتين فلا يتم دخولها عام الحديبية لقوله تعالى :

﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فيصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء ﴾(١) .

أما من أنعم الله عليهم بالحرية فلينظروا سورة النور ليجدوا الرجال فى صفات جامعة رجال تخرجوا من المسجد أولا فبيت الله بيتهم معظمين لشعائر الله ذاكرين مسبحين لا يفترون فهم بالليل رهبان وبالنهار فرسان مع الله وبالله بالغدو والآصال لا تلهيهم الدنيا لأنهم أسيادها ولا يصرفهم تعالى عمن يتعاملون فى سـبيله لأنهم أهل الصـلاة أهل الزكاة أهل الخوف من الله .

﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيـه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسـن ماعملوا ويزيدهم من فضـله ، والله يرزق من يشـاء بغير حساب ﴾(٢)،(٣) .

* * *

---

(١) الفتح : ٢٥ (٢) النور : ٣٦ ــ ٣٨

(٣) انظر : مجلة لواء الاسلام ؛ (س : ٣٢) ؛ (ع : ٢) شوال ١٣٩٧ هـ ــ اكتوبر ١٩٧٧ م (ص ٧ ــ ١١) / عبد الله محمد كامل .